

كنوز من السنة

اقتحام العقبة!



فضيلة الشيخ محمد الغزالي

كانت امرأة سوداء تقم المسجد النبوي-أي تنظفه-، تكنسه وتميط عنه الأذى، فتفقدتها الرسول يوماً فقبل له: ماتت!
 فقال: «أفلا كنتم آذنتموني به؟» -أي أعلمتموني بموتها- كأنهم صغروا أمرها، مع أنها كانت تقوم بوظيفة مهمة من وظائف المسجد، أليست تهيئه للركع السجود؟
 فقال النبي ﷺ: «دلوني على قبرها»، فدلوه فصلى عليها صلاة الجنازة. (١).

ونرى نحن أن الإخلاص والخشوع صفات مشتركة بين الناس، توجد في الغني والفقير، والخطأ الشائع أن ذوي المهن الصغيرة لا يؤبه لهم، أما ذوو المناصب المضخمة فهم الذين يملأون العين!!
 عن حارثة بن وهب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف -أي متواضع- لو أقسم على الله لأبره! ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواز مستكبر» (٢).. والجواز هو الجموع المنوع، وقيل الضخم المختال!! والضعفاء ليسوا هم الأذنان الذين يحيون على الملق والزلفى، فكم من ضعيف عزيز النفس متوكل على الله!!
 قال أحد الخلفاء لتابع له -له مكانة-: لقد كبرت!

إن هذه المرأة أفضل عند الله من عظيم لا عمل له، والناس لا توزن بمناصبها وإنما توزن بمناقبها، وأكثر الأعمال التي نستعين بها ترتبط بها مصالح كبرى للمجتمعات، وشاغلها جديرون بالاحترام.
 روى البخاري أن سعد بن أبي وقاص كان يرى له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ: «هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟».
 يعني أن أفراد الطبقات الكادحة هم مادة الجيوش وسواد العمال والفلاحين!
 والغريب أن (ابن بطال) شرح هذا الحديث فقال: إن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا..!

(١) رواه البخاري.

(٢) منفق عليه.

إن كفالة فتاتين أجر كبير ، ومن أخلص العمل
وأحسن التربية ولم يضجر ولم يبخل اقترب من
مكانة النبوة !!

ومن لطائف الإسلام أنه يسوي بين الجهاد
العسكري والجهاد الاجتماعي والاقتصادي ؛ لأن
كيان الأمة لا يتماسك بإعداد السلاح وحده .
وإنما يقوى بسد ثغرات المسغبة والعجز ،
وتأمين الأمة كلها من الجوع والخوف ؛ ولذلك
قال النبي الكريم ﷺ : « الساعي على الأرملة
والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم لا
يفتر وكالصائم الذي لا يفطر » (٣) .

مرتب سخي تفتح به بيتاً مغلقاً وتوسع
على أهله فيذوقون بشاشة الرضا ، إنه يجعلك
كالمرابط في جبهة القتال أبداً ، وكالصائم في
سبيل الله أبداً .

إن من فعل ذلك اقتحم العقبة ؛

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ
فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَيْتًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا
ذَا مَرَبٍ ﴿١٦﴾ ﴾

(البلد : ١٢ - ١٦)

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين !

قال : وفيك بقية !

قال : في خدمتك يا أمير المؤمنين !

قال : وإنك لجلد !

قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال
الحسن البصري : هذا رجل لم يُبق من شخصه
شيئاً لله تعالى .

لقد ساءلت نفسي : أي الشخصين أفضل ؟ هذا
الذنب الذائب في سيده أم هذه المرأة التي يحكي
قصتها البخاري في حديثه عن عائشة - رضي الله
عنها - ؟

قالت : دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها
تسأل ! فلم تجد عندي شيئاً غير ثمرة واحدة !
فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل
منها !! ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ
علينا ، فأخبرته بما كان فقال : « من ابتلي من
هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من
النار » .

ويلحق بذلك الحديث قوله ﷺ « من عال
جارتين - بنتين - حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا
وهو كهاتين ، وضم أصابعه » !! (رواه مسلم)



(٣) متفق عليه.